جدلية الأنا والدهر في شعر الصنوبري: مقاربة لغوية نفسية

د. أحمد علي جودة *

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢٢/١١/٢٠م تاريخ قبول البحث:٢٠٢٣/١/٣١م

الملخص

تناولت هذه الدراسة رؤية استمدها الصنوبري من الشعراء السابقين لعصره، حيث تتلخص في أنَّ هذا الدهر هو سلطة غيبية ترافق الإنسان طوال حياته، فهي تهادنه وتعطيه كل ما يتمناه في شبابه ثمَّ إذا ما كبر في عمره تخونه، وتُلحق به كل المحن والمصائب حتى مماته. وظهرت هذه الرؤية مع الدهر في الكثير من شعر الصنوبري، حتى أنَّه عندما تحققت رؤيته استسلم للدهر وللمصائب التي لحقت به وأصابه الإحباط من فقر وحزن وآلام وأوجاع مُنتظرًا موته. وفاجأه الدهر بمصيبة عظيمة وهي موت ابنته ليلى فجزع لموتها ولم يتصبَّر.

واستعانت الدراسة بالمنهج الوصفي التحليلي للكشف عن مذهبه في حياته، وأفادت من المنهج النفسي الذي يُلقي ظلالًا على حالته النفسية من خلال شعره.

وخلصت الدراسة إلى أن جزع الصنوبري جاء بلومه الدهر أولًا على غدره ولومه نفسه ثانيًا، بتحميل نفسه مسؤولية ما حدث؛ لأنَّه تمادى في مجونه ولهوه في شبابه، فعاقبه الدهر بقدر ما اقتنص من السعادة ليذيقه من الألم والعذاب ما يُساوي تلك السعادة؛ ليظهر جزعه وعدم تصبره نتيجة حتمية وطبيعية لعدم توقعه عِظم المُصيبة، فأصابه اكتئاب حاد بقي يُعاني منه حتى مماته.

الكلمات المفتاحية: الدهر، شعر الصنوبري، الشعر العباسي.

*أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم، جامعة العلوم الاسلامية العالمية.

The Debate of Ego and Time in Al- Sanawbari's Poetry:
A Psycholinguistic Approach

Abstract

This study dealt with a vision that was derived by Al-Sanawbari from the poets who preceded his era. It is summarized by the fact that time is an unseen authority that accompanies man throughout his life. This authority gives him everything he needs as a youth, but when he grows up, it betrays him and never stops causing troubles for him till he dies.

This vision with the "Time" appeared a lot in Al-Sanawbari 's poetry, so that when his vision came true, he surrendered to Time and the calamities that befell him, and he became frustrated with poverty, sadness, pains and pains, waiting for his death. And time surprised him with a great calamity, which was the death of his daughter Laila, so he was alarmed by her death and couldn't be patient.

The study used the analytical descriptive approach to reveal his doctrine in his life, and also benefited from the psychological approach that casts shadows on his psychological state through his poetry.

The study concluded that his anxiety came as a result of blaming time first for his treachery and blaming himself second. He held himself responsible for what happened because he persisted in his insanity and amusement in his youth, so time punished him as much as he snatched happiness to make him taste pain and torment equal to that happiness. To show his anxiety and impatience as an inevitable and natural result of not anticipating the greatness of the calamity, so he fell into severe depression, from which he continued to suffer until his death.

Keywords: Time, Al-Sanawbari poetry , Al-Abbasid poetry.

مقدمة:

نال الشاعر الصنوبري (ت ٣٣٤هـ)[١] في العصر العباسي الثاني شهرة واسعة وعدَّه النقاد شاعر الطبيعة الأول في عصره، وظهر شعره مواكبًا للترف والحضارة في العصر العباسي، فأُعجب الناس بشعره وتناقلوه حتى شاعت شهرته وملأت الآفاق، ووصلت إلى العراق والأندلس واحتذى الكثير من الشعراء حذو الصنوبري في شعره التجديدي شكلًا ومضمونًا. وكان أكثر ما احتذى به الشعراء من بعده شعر الطبيعة الذي ألحَّ عليه حتى عُرف به، وظنَّ الكثير من الدارسين والنقاد بأنَّه لذلك شاعر مُتفائل وسعيد. ولم يخطر ببالهم بأنَّ عشقه للطبيعة وللشعر المخترع والغزل ووصف المجون والديارات يأتي ضمن رؤيته التي كان يعيش حياته بمقتضاها.

بحثت هذه الدراسة في جدلية الأنا والدهر، والأنا هي ذات الشاعر ووجدانه، والدهر وهو العدو الأزلي للإنسان (الشاعر) بحسب رؤية الشعراء، فهو النقيض والعدو الذي لا يؤمن جانبه، ومهما داهن ورضي عن الإنسان فلا بُدَّ من أنْ يأتي يوم وينقلب عليه ويخونه. فالعلاقة التي تجمع الصنوبري مع الدهر هي علاقة عداء وخيانة. وقد استخلص الشعراء العباسيون ذلك من شعراء العصور التي سبقتهم، وتكونت رؤية فلسفية حول هذا الدهر في شعر شاعر عباسي عُرف بعشقه للطبيعة والغزل الرقيق والشعر التجديدي ألا وهو الصنوبري، شاعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني وأحد شعراء سيف الدولة الحمداني وخازن كتبه. وجاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على حياته، إذ انكبَّ على الخمر والمجون والخلاعة واللهو في شبابه متخذًا منها سبيلًا للثراء والشهرة؛ لأنّه بحسب رؤيته فإن الدهر حليفه يساعده في اقتناص السعادة والسرور وتحقيق الآمال والطموح في الشباب. وهذه الفكرة لم تكن جديدة بل كانت سائدة عند الشعراء الذين سبقوه. ثُمَّ ينقلب عليه هذا الدهر ويُحوِّل حياته إلى جحيم في نهاية حياته، وهذا ما حدث مع الصنوبري وكان يظنُّ أنَّ أقصى ما

سيصيبه به هو المرض والفقر حتى مماته لكنه صعقه بمصيبة أبان له بها وجهه الحقيقي، إذ أمات له ابنته ليلى العزيزة على قلبه، وجعله يعيش في معاناة دائمة تمنَّى معها الموت في حياته أو الموت قبلها ولم يُسقَ عذابًا كهذا. وأصابه بموتها الجزع وعدم التصبُّر وأظهر الغضب والرفض لهذا الدهر الذي لا يستطيع الثأر منه.

الدراسات السابقة: ثمة دراسات كثيرة تعرضت لشعر الصنوبري، نذكر منها على سبيل المثال:

١- الاغتراب في شعر الصنوبري لخالد أحمد الزعبي، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مج٤٤، ع٤، ٢٠١٧ . هدفت الدراسة إلى الكشف عن ظاهرة الاغتراب في شعر الصنوبري عن طريق شعوره بالاغتراب لسفر أصدقائه وتشوقه لهم، وموت بعضهم ورثائه لهم، كذلك موت أمُّه وابنته ورثائهما، وعلاقته بأهل زمانه مُستشهدًا بهجائه لهم.

٢- نسقية رثاء البنات في شعر الصنوبري لهيثم محمد قاسم جديتاوي، مجلة سرديات، الجمعية المصرية للدراسات السردية، ع ٢٣،٢٠١٧. هدفت الدراسة إلى الحديث عن رثاء الصنوبري لابنته من خلال قصائده التي رثى ابنته بها وأظهر مدى جزعه وعدم تصبُّره على فراقها.

٣- ليلى والأقدار (قراءة في قصيدة للصنوبري في رثاء ابنته)، إحسان اللوتي، مجلة اتِّحاد الجامعات العربية للآداب، مج١٥، ع١، ٢٠١٨ . هدفت الدراسة إلى الكشف عن مشاعر الصنوبري حول رثائه لابنته من خلال قصيدة رثى بها ابنته وقام بإعادة ترتيب أبيات القصيدة - بحسب رؤيته - لرصد تفجعه على موتها، ولوم الدهر على هذه المصيبة.

٤- الإيقاع الداخلي بين الإيحاء والدلالة في شعر الصنوبري لأحمد علي جودة، إشكالات في اللغة والأدب، مج١١، ع٢، ٢٠٢٢. هدفت الدراسة إلى الكشف عن الإيحاء في شعر الصنوبري من خلال الإيقاع الداخلي في نماذج من

شعره، ومنها موضوع الرثاء لابنته ليظهر إيحاء الرفض من خلال الإيقاع الداخلي والتكرار للحروف والأفعال والأسماء والجمل.

بحثت هذه الدراسات الحديثة في شعر الصنوبري من حيث ظاهرة الاغتراب ورثاء البنات ورثاء ليلى وموتها بفعل القدر والإيحاء في شعر الصنوبري من خلال دراسة الإيقاع الداخلي والتركيز على التكرار وفنون البديع في شعر الوصف والرثاء، وجاءت دراستي هذه لتجمعها معًا ضمن صورة أشمل. لكن ما يُميّز هذه الدراسة أنَّها تتعمَّق نفسيًّا في شعر الصنوبري لتكشف عن رؤيته وعلاقته بالدَّهر من جهة، وما حدث له نتيجة هذه الرؤية لما يتصف به من حساسية مرهفة وصدق فني.

وحاولت الدراسة الإجابة عن مجموعة من الأسئلة التي تُظهر الدهر كصاحب وعدو مُلازم للإنسان على الدَّوام، وهي:

- ما رؤية الصنوبري حول الدهر؟
- كيف ظهرت رؤية الصنوبري وفلسفته من خلال حياته؟
- هل صدقت رؤية الشاعر حول الدهر كما كان يراها؟
- ما أثر الدهر في حياة الصنوبري؟
- ما سبب جزع الصنوبري وتفجُّعه وعدم تصبُّره على موت ابنته؟

هدف الدراسة: تهدف الدراسة إلى الكشف عن دور الدهر وأثره في حياة الصنوبري من خلال رؤيته التي جعلته يعيش حياته وفقها، والتي لوَّنها الدهر بخيانته للشاعر في أُخريات حياته بطابع الشكوى والجزع وتمني الموت وهو يلوم الدهر مرة ويلوم نفسه مرات عدة على موت ابنته لمجونه في شبابه.

مشكلة الدراسة: تكمن مشكلة الدراسة في أن بعض الباحثين يظن أنَّ الصنوبري كان شاعرًا متفائلًا وسعيدًا عاشقًا للطبيعة وللحياة، لكن الباحث تتبع المضامين المضمرة في شعره الذاتي، فوجده شاعرًا كان يعيش وفق فلسفة

حياتية مرتبطة بالدهر الذي يرافقه منذ البداية وحتى الممات وقد استمدَ هذه الفلسفة من الشعراء الجاهليين وحتى المحدثين في عصره.

منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ لقدرته على تحليل شعر الصنوبري وإبراز فلسفة الدهر عنده، وأفادت من المنهج النفسي الذي يساعد في تمثيل معاناة الشاعر ومشاعره من خلال شعره.

وانتظمت الدراسة في تمهيد وثلاثة مباحث، أمَّا في التمهيد فقد تحدثت عن مفهومي الأنا و الدهر لغة واصطلاحًا وأسماء الدهر في شعر الصنوبري وسلطته على الإنسان، وعرضت في المبحث الأول شعر الصنوبري في رضا الدهر عنه، وفي المبحث الثاني تحوُّل الصنوبري وتوبته وخوفه من انقلاب الدهر عليه، وفي المبحث الثالث أثر الدهر في الصنوبري بعد انقلابه عليه وغدره. وانتهت بخاتمة تضمنت نتائجها يتبعها توصية لعل الباحثين يلتفتون إليها.

التمهيد:

الأنا هي الذات، والذات (لغة): كما جاء في لسان العرب: "ذاتُ الشيء حقيقته وخاصيَّته، وقال الليث: يُقال قلَّت ذاتُ يده؛ قال: وذات ههنا اسم لما ملكت يداه كأنَّها تقع على الأموال، وكذلك عرفه من ذات نفسه كأنه يعني سريرته المُضمرة..."[٢]. والذات هي الماهية والجوهر والموضوع وحقيقة الوجود المطلقة[٣]، فذات الشاعر تعني حقيقته ووجوده وشخصه، وهي الحاضرة في التجربة الشعرية عند الشاعر، وتكشف عن الموقف الشعري لهذه الذات، انطلاقًا من أنَّ الموقف في الأساس، هو" علاقة الكائن الحي ببيئته وبالآخرين في وقت ومكان محددين. وبهذه العلاقة يكشف الإنسان عما يُحيط به من أشياء ومخلوقات بوصفها وسائل أو عوائق في سبيل حُرِّيته"[٤]. "فالذات الشاعرة الشخصيَّة هي صاحبة الحقِّ الوحيدة في التعبير عن موقف الشاعر بما هو إنسان"[٥].

وأمَّا الدهر (لغة): فدلَّت مادة (دهر) في المعاجم العربية على معنى الزمن. يقول ابن منظور: "هو الأمد الممدود"[٦] ووردت عند الزبيدي: "هو اسم لمدة العالم من ابتداء وجوده إلى انقضائه... والزمان الطويل، والأمد الممدود، وتفتح الهاء، وجمعه: أدهر ودهور، والنازلة. والدهاريز: أول الدهر في الزمن الماضي، والسالف...والدُّهَري: القائل ببقاء الدهر"[٧].

الدهر اصطلاحًا: وهو " تلك القوَّة الغيبيَّة الفاعلة في الكون"[٨]. وهي نظرة جاهلية وسلطة غيبية ترافق الإنسان طوال حياته فهي تهادنه وتعطيه كل ما يتمناه في شبابه ثمَّ إذا ما كبر في عمره تخونه وتُلحق به كل المحن والمصائب.

والدهر هو المُحرِّك لمجريات الحياة وحوادثها، وهو الزمن المتتالي للحياة منذ بداية الكون وحتى نهايته. وظهر الدهر في الشعر عند كثير من الشعراء الجاهليين مرتبطًا بمعتقدات دينية لحيرتهم أمام الحياة والموت وعجزهم واستسلامهم أمامه، فظهرت الدهرية كديانة جاهلية عند بعض العرب، " والدهريون منكرو البعث والإعادة والخالق، لقد أنكرت هذه الفئة البعث وأسندت الأفعال إلى الدهر على نحو حقيقي"[٩] ، وقد شكا كثير من شعراء الجاهلية من الدهر، فهذا النابغة الذبياني يقول:[١٠]

منْ يطلبُ الدَّهرَ تُدرِكُهُ مَخالِبُهُ

والدَّهرُ بالوِترِ ناجٍ غيرُ مطلوبِ

ما منْ أُناسٍ ذوي مجدٍ ومَكرُمةٍ

إلاَّ يَشُدُّ عليهِم شِدَّةَ الذِّيبِ

حيث يظهر بعلاقته مع الإنسان الجاهلي مُسيطرًا على كل مجريات حياته، يُهادنه في شبابه ثُمَّ عند الكبر ينقلب عليه ويُلحق به المصائب. ويراه الشاعر الجاهلي كناقة ضخمة عمياء لا تفرِّق بين غني وفقير أو قوي وضعيف. يقول زهير بن أبي سُلمى:[١١]

رأيتُ المنايا خبطَ عشواءَ مَنْ تُصِبْ

تُمته، ومَن تُخطئْ يُعمَّر فيهرمِ

وعلاقة الشاعر الجاهلي بالدهر علاقة استسلام لهذا العدو فهو لا يستطيع الإمساك به والثأر منه لخيانته أو قتله لذا نجده مستسلمًا صابرًا لمصائبه، يرى فيه العدو الأول له الذي له قوة أُسطورية لا يستطيع مواجهتها مهما بلغت قواه، وصوَّره مرة بناقة عظيمة ومرة بحيوان مفترس ومرة بذئب.

وكانت العلاقة بين الإنسان الجاهلي والدهر علاقة غير متكافئة. فالإنسان هو الفريسة والدهر هو المفترس والغالب، والدهر هو المسيطر على أفعال الإنسان وأحداثه والمحرك لكل ما أحزنه وأهمَّه. وكانت فكرة الدهر عند الجاهليين تنبثق من دعائم نفسية انفعالية لها تأثيراتها في مجمل الحياة عندهم. وكان موقف الجاهلي من الزمان " الذي يتجسد عنده بالدهر أو هكذا كان يرمز للزمن بهذه الكلمة، وكانت تعني لديه الخطر الذي يهدد الإنسان بوصف الزمان عاملًا مهددًا للبقاء والحياة معًا "[١٢].

والدهرية: "هم الذين يقولون بإسناد الحوادث إلى الدهر ...، والدهر عندهم: هو حركات الفلك وأنَّ العالم يدور بمقتضى تأثير هذه الحركات والعرب يقولون به ولا صانع سواه "[١٣].

ويبدو أنَّ "هذه النظرة كانت مشدودة إلى نظرة دينية وثنية متوشحة بإطار الفكر الأُسطوري الغيبي، من حيث تطور هذه العقيدة في الدهر والقدر والزمان إلى حد أنَّ بعض العرب شخَّص الدهر والقضاء والقدر بآلهة بعينها، مُلتمسين منها ما يكرهون من بؤس، وشقاء، أو فرقة، أو موت، زاعمين أنَّ سعادة الإنسان وشقاوته تتوقفان على الدهر"[١٤].

ويرى أحمد النعيمي: "أنَّ الصنم مناة هي ربة الموت ... غير مستبعد العلاقة بين لفظة أمنية واسم الصنم (مناة) معللًا ذلك بِأنَّ الجاهليين كغيرهم يعتقدون بوجود إله يمثل الحظوظ والأماني، وخاصة الموت. ويبدو أنَّ بعض اشتقاقات الكلمة قد سوَّغ لهم ذلك، فمنها (المنون) بمعنى(الدهر)، والمنون

أيضًا (المنية). والمنية يراد بها الموت"[١٥]، " وكان على الشعراء أن يستغلوا الماضي في معرض تناولهم فكرة الدهر، وكانت دهرية متشائمة لا تخطر إلاَّ في ساعة الألم والحزن، وذلك التشاؤم كان وحده سببًا في بعث الماضي والاحتفال به، فالأموات لا يذكرون إلا في ساعات الحزن والألم والتأمل بالمصير الذي آلَ إليه الأحياء من بعد"[١٦].

وللدهر في أشعار الشعراء العباسيين كالصنوبري وأيضًا ابن الرومي أسماء متعددة، منها " الزمان والقدر والأجل والأبد والأمد والمنايا والسنين والأعوام والليالي والرزايا والموت والخطوب"[١٧]، وكلها تدل على الدهر.

وتعامل الشعراء مع الدهر على أنه كائن حي ونسبوا " إليه صفات كالأكل والشرب، وصفات أخرى سيئة، أو سلبية إنْ صحَّ التعبير، كالغدر والخيانة، والكذب، والخداع... وكانت سمة الغدر من السمات البارزة للدهر، فالدهر يغدر الشاعر حسدًا منه"[١٨]. فنجد البحتري يقول بأنَّ الدهر مطبوع على أن يغدر ويخون كل حر:[١٩]

خانَ الزمانُ في لَذَّاتهِ

إنَّ الزمانَ لِكلِّ حُرٍّ خائنُ

ويقدم ابن الرومي النصائح للناس بعدم لوم الدهر على غدره لأنه طُبع على ذلك، يقول:[٢٠]

ولا تعذلِ الدَّهرَ في غدرهِ

بإخوانِهِ، فَعَلَيْهِ طُبِعْ

فالدهر عدو للإنسان وعليه أنْ يحذر غدره فهو الآخر أي العدو والنقيض، وأمَّا الأنا فهي ذات الشاعر التي تظهر مشاعره شعرًا يُؤثّر في المتلقين.

"فالذات الشاعرة هي التي يصدر عنها الشاعر في إبداعه، إنَّها الضمير الشعري الذي يجوس في فضاء النص مُحققًا الوعي الذاتي،... وهي التي يصدر

عنها في سلوكه الشخصي وفعله الحياتي غير الشعري"[٢١]. فالدهر شريك للأنا (الذات الشاعرة) في عملية إنتاج الدلالة في التجربة الشعرية، لذا تظهر هذه الذات المتكلمة في النص الشعري؛ لأنَّها رؤية للشاعر مُترجمة عن الحس الباطني للذات. وفي دراستنا هذه سوف نتعمق في ذات الشاعر الصنوبري؛ لنكشف عن رؤيته للدهر من خلال شعره، والمضامين النفسية المرافقة لهذه الرؤية ونتائجها على حياة الشاعر.

المبحث الأول: شعر الصنوبري في رضا الدهر عنه

امتلك الصنوبري ثقافة شعرية واسعة، شملت الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي والعصر العباسي الأول، وحفظ الكثير من الأشعار وعرف كيف يجعل من شعره لطائف بحسب ذوق العصر، وأتى بكل تجديد وجديد مُبدع ومُخترع. ومع ذلك كانت رؤيته حول الدهر رؤية الشعراء السابقين الذين رأوا فيه مهادنًا وصديقًا فترة الشباب، وخائنًا وعدوًا لهم عند الكبر. " فالدهر يُهادن الشاعر في شبابه، ويساعده على التمتُّع به قبل أنْ يكبر سنُّه فيغدر به ويُلحق به المصائب والأمراض"[٢٢].

اختار الصنوبري طريق اللهو والخلاعة وشرب الخمر والمجون في شبابه؛ ليحظى بكل سرور ومتعة طالما أنَّ هذا الدهر راضٍ عنه، ويساعده في حياته على قنص كل لحظة يسعد ويفرح فيها، ويقول شعرًا يزيد من محبة الناس له وسروره وشهرته وغناه. يقول:[٢٣]

بادرْ إلى القصف واغتنمه
ما دام عنك الزمان راضِ
وانظرْ ببستاننا وصُنهُ
عن كلِّ وغدٍ وكلِّ فاضِ
ففي الذي قلته صوابٌ
يا حسن ذا القول وهو ماضِ

تبدأ رؤية الصنوبري لعلاقته مع الدهر بتحوّله إلى المجون واللهو ويؤكد ذلك في شعره، "فعلاقته مع الزمن، علاقته مع الآخر، الذي هو نقيضه، هي علاقة عداوة، مع أنَّ هذا العدو يُهادن الشاعر ويخلق جوًّا من الانسجام ... قبل أن يتبدَّل حاله مع الزمن فيغدر به"(٢٤).

لقد عدَّ مرحلة الشباب هي مرحلة رضا الدهر عنه، فهو رفيقه الذي يساعده على قنص السعادة في كل ما يطلب ويفعل وإنّ كانت ذنوبًا وأوزارًا، وجعل عمره يرتبط باقتناص المعاصي، يقول:(٢٥)

ما ساعة تمضي بلا وزرِ
بساعةٍ تُحسبُ من عُمري
قُم ، باكرِ الفجرَ إلى شربةٍ
يُغني بها الشّربُ عن الفَجرِ
لا تسْقني خَمرًا وهاتِ اسْقنا
إنْ كنتَ ساقينا أخا الخَمرِ

إذ عدَّ الشرب وقت الفجر بديلًا لصلاة الفجر، فهو يرى المعصية في كل وقت ولا يخاف من الموت أو المصائب، لأنَّه باختصار أمنَ الدهر ورضاه عنه زمن الشباب، وبشعوره هذا يبرر ارتكابه المعاصي والذنوب فهذا وقتها. ولن يؤذيه الدهر مهما فعل من أفعال خليعة، يقول:(٢٦)

خلعَ ابنُ الصنوبريّ العذارا
وغَدا فهو لا يَرى ذاكَ عَارا
غَادرَ الحلمَ جانبًا وامتَطى اللهـ
ـو وقدمًا أشارَ أنَّى أشَارا
غَضَّ مِنْ رُشْدهِ وأنْجَدَ في الغـ
ـيِّ على رُغْمِ عاذِليه وغَارا

لقد وجد أنَّ المنادمة في الديارات مصدر غنى وشهرة. "ويُصرّح بأنَّ ما جعله يركن إلى مجالس الخمر هو مُنادمة أشراف حلب الذين جعلهم يَرونَ جلوسه معهم فخرًا لهم، بما يقوله من شعر يُخلِّد ذكرهم ويمدحهم فيه، ويُنادمهم أفضل مُنادمة وبما يُضمّنه من طرائف وغرائب وفنون تُسلِّيهم "[٢٧]، فضلًا عن الشهرة. يقول:[٢٨]

صنتُ مالي من طارفٍ وتليدٍ
مذْ تَعلمتُ أُنْفِقُ الأَشْعَارا
ليسَ بخلًا بما حويتُ ولكـ
ـنَّ أُناسًا رَأَوْا وَصْلي افتِخارا

لقد اغتنم الصنوبري الفرصة عندما عرف كيف يقول شعرًا يُعجِب جلساءه المتنادمين به في الديارات، إذ أصبحت الديارات كسوق عكاظ مصدرًا لنشر شعره وشُهرته والإعجاب به وإغداق الأموال والعطايا، وهو يُؤكد بأنَّ شعره أصبحَ مبتدعًا وليس مألوفًا وتقليدًا لذا فقد أصبح نافقًا بعد أنْ كان كاسدًا، يقول:[٢٩]

ومُدَّعٍ بصرًا بالشِّعرِ، قُلتُ له:
والقولُ قولانِ: مألوفٌ ومُبتَدعُ
ما يُبصِرُ الشِّعرَ إلاَّ منْ لهُ بَصَرٌ
في قلبهِ ليسَ في عينيه يا لُكَعُ

فأكَّد بأنَّ الشعر لا يُبصَرُ إلّا بالقلب، أي أنَّهُ لغة العواطف والمشاعر، وقوله يخاطب العاطفة في الديارات ومجالس المُنادمة سبب سعادته ونشر شعره وعطايا الجلساء له:[٣٠]

ما فيَّ من خلع العِذارِ
ومن التجنُّبِ للوقارِ
كأسٌ من الصبواتِ لـ

كن من سوى الصبواتِ عاري
أختالُ في طرقِ الهوى
نشوانُ مَسحوبُ الإزارِ
بين الهنيّ إلى البليخ
إلى بساتين النقارِ

يا لائمي ما العارُ عا
رُكَ فامضِ منّي العارُ عاري

إنه يعيش في سعادة متنقلًا بين الديارات في مدينة حلب (الهنّي والبليخ، وبساتين النقار) ولا يستمع لأيّ لائم، بل يرد عليهم بأنَّه إنْ كان هناكَ عار بأفعاله، فالعار عاره والوزر يقع عليه وحده، وهو حر بما يفعل. ويرى أنَّ هذا اللائم يشعر بالغيرة منه فهو لا يلومه حقًّا، وهو يتمنى زوال هذه النعمة عنه بالتوقف عن المنادمة، لذا يرفض أنْ يتَّبع نصحه ولومه، يقول:(٣١)

يا ناصحًا ما زالَ يُتْبِعُ نُصحَهُ
غشًّا إذا نصحَ الصَّديقُ صديقَهُ

فهو يشعر بالأمان مهما فعل، فالدهر يُهادنه بل يُحقق له كل رغباته في شبابه، لذا فإنَّ الناصحين من الأصدقاء يغشُّونه بلومهم له؛ لأنَّهم يغارون منه ويتمنون زوال هذه النعم والسعادة المُصاحبة لها.

المبحث الثاني: تحوُّل الصنوبري وتوبته وخوفه من انقلاب الدهر

ومرت الأعوام والصنوبري لاهٍ في مجونه، يلهو في دياراته، ولم يحسب بأنَّ الشباب سوف يذهب والشَّعرَ سيشيب والقوى ستضعف، ولكن اليوم الذي ظنَّه لن يأتي قريبًا قد جاء، فقد ظهر الشيب بعارضيه والضعف بان عليه، وظهر له بأنَّ الجواري في الديارات يُعرضْن عنه، وأصبح يتأمل ما حلَّ به وعرفَ

بأنَّ العمر انقضى سريعًا، وبدأت ملامح الكبر تظهر عليه والشيب غزا عارضيه، فقال:[٣٢]

أبْدَى الغَواني الصَّدَّ والإعْراضَا
لمَّا رَأيْنَ بِعارِضَيكَ بَياضَا
هَجمَ المَشيبُ فما له مِنْ رَجعةٍ
فأتَى على ماءِ الشَّبابِ فَغَاضَا
نقضَ المشيبُ قوى الشبابِ ولمْ يزلْ
شِيبُ الفتى لِشبابِهِ نقَّاضَا

لقد بثَّ الشاعر شكواه من ظهور الشيب "وعدّ مجيئه بداية لمرحلة جديدة، هي مرحلة الموت"[٣٣]، "فعامل الزمن له الأثر الأكبر في الصدود، فالمشيب هجم على الشباب، وهذا البياض كان سببًا في جعله وحيدًا والكل من حوله يصدُّ عنه "[٣٤].

فالصنوبري يجد الوقت قد حلَّ مسرعًا وعليه أنْ يحتاط، "وصور الشيب إنسانًا ظالمًا يهجم على ذاته، فيسرقها منه، ليس ذلك فحسب، بل تصوره نذيرًا جاء يُنذره بقرب الأجل"[٣٥]. فالشواهد على تغير حاله كثيرة وعليه أنْ يخاف من تحوُّل هذا الدهر عليه، يقول:[٣٦]

الدَّهرُ حلوٌ ثُمَّ مُرٌّ ولا
يدومُ لا المُرُّ ولا الحلوُ

لقد بدأت الحياة تُعاكسه، وزاد ضعفه وكثر شيبه ومصائبه، وحلو الدهر في الشباب بدأ يذهب ويأتي مُرُّه كما يعرف. فهذا الدهر له وجهان وجه حلو أظهره للشاعر في شبابه فعاش سعيدًا، وآخر مُرُّ بدأت تظهر أماراته بمقدم الشيب والمرض وزوال ماء الشباب، يقول:[٣٧]

أنا إنْ تخرمتِ الحوادثُ شِرَّتي
فمضى حِراني واضمحلَّ شِماسي

وتلونتْ أيامُ هذا الدَّهرُ لي
لما نظرتُ إلى تلوُّنَ راسِي
وقرأتُ من خطِّ المشيب بعارضي
سطرًا يُخالفُ أسطُرَ القِرطاسِ
فلربَّما قد قادني لينُ الصِّبا
وألانَ لي قلبَ الزمانِ القاسي

ولم يتوقف الأمر على الضعف والشيب، بل ظهرت جنود أُخرى للدهر كالفقر والجرب جعلته يفكر بجديَّة بتغيير حياته والتوقف عن اللهو والصبوات، يقول:(٣٨)

الشيبُ عندي والإفلاس والجربُ
هذا هلاكٌ وذا شؤمٌ وذا عَطَبُ
إنْ دامَ ذا الحَكُّ لا ظُفرٌ يدومُ ولا
يدومُ جلدٌ ولا لحمٌ ولا عَصَبُ

وهنا وبعد تأمل بالتغيرات التي حلت له وبلوغه الخمسين، وأصبح العار عارين، ففي الشباب نقول هفوة شباب لكن عند الكبر فهي قلة عقل وقلة حياء لا يرضاهما أحد، يقول:(٣٩)

لقد غَصبتْني الخمسونَ فَتْكِي
وقامتْ بين لِذَّاتي وبَيني
وكانَ اللهوُّ عندي كابنِ أُمِّي
فصرنا بعدَ ذاكَ لعلَّتينِ

لقد كره اللهو والخمر وتوقف عن المنادمة بعد وصوله الخمسين؛ لأنَّ الشيب قد غزا شعره وأصابته مقدمات الموت وجنوده، لذا تاب عن المعاصي، وأعلن توبته للمجتمع، ولكن هل كانت توبته حقيقية؟

و"يبدو أنَّه كان مُصابًا بالقلق على شكل توتر أمام حادث يُنتظر أنْ يقع وأنْ يواجهه بالخطر"[٤٠]، وما الخطر الذي يتوقعه سوى الموت الذي أجبره على التوبة. يقول:[٤١]

كنتُ أُحبُّ النبيذَ جدًّا
فصارَ حُبِّي النبيذَ بُغْضَا
وصارَ ذا مثلَ ذاكَ حذوًا
بل زادَ طولًا وزادَ عَرْضَا

فلستُ أرضاهُ لي شرابًا
والحمدُ للهِ لستُ أَرْضَى

نعم لقد كره المعصية وكره الخمر وصار مثل أي شراب آخر، وحمد الله على الرجوع عن طريق المجون وشرب الخمر وما كان يفعله في شبابه من منادمة في الحانات والديارات، وزهد بعد توبته، وقال شعرًا يتوب فيه عمَّا جنته يداه في شبابه - لجلب السرور لنفسه - وندم بعد أنْ اتَّعظَ مما حلَّ بأصدقائه وأقربائه من مصائب وموت كما يقول. ولكنه في الحقيقة أصبحَ قلقًا من تحوُّل الدهر عنه وقرب بداية غدره وخيانته، لذا فإنَّ توبته جاءت استباقًا لما يتوقعه من خيانة الدهر وغدره بعد أنْ ظهرت له جنود الدهر عند كبر سنه، يقول:[٤٢]

أستغفرُ اللهَ كم ذا الجهلُ والسرفُ
أستغفرُ اللهَ كم ذا الخرقُ والعُنُفُ
يدعو إلى الجهلِ داعينا فنتبعهُ
يمضي على الجهلِ ماضينا ولا يقفُ
كيف امترائي أخلافَ السُّرورِ وقد
رأيتُ رُسْلَ المنايا كيفَ تختلفُ

في كلِّ يومٍ لها جيشٌ يُروِّعنا

بشنِّ غارتهُ فينا وينصرفُ

عندي مواعظٌ لو أنِّي اتعظتُ بها

مضى وأسلفنيها إذْ مضى السلفُ

فندم على ضياع حياته بالمجون وركضه خلف المتعة ومرافقة الأصدقاء مع الكثير من الأحداث والمصائب التي لو اتعظ بها لما بقي على الضلال وكثرت ذنوبه لجريه وراء الشهرة والمال. يقول:(٤٣)

يا ويحَ نفسي أغرَّتها سلامتُها

إنَّ السلامةَ مقرونٌ بها التَّلفُ

بئسَ الثراءُ ثراءً خلفَهُ عدَمٌ

بئسَ الشبابُ شبابًا خلفهُ خَرَفُ

"والصنوبري مؤمن بقضاء الله وقدره، وهو على ثقة كاملة بأنَّ مصير الإنسان هو الموت"(٤٤)، "ولا خير في حياة يعقبها الموت إلاَّ بالعمل الصالح وما لنا جميعًا إلاَّ القبور، فيجب علينا الزهد في الدنيا الفانية "(٤٥). وبقي على توبته منذ الخمسين حتى بلوغه السابعة والخمسين إذ يقول:(٤٦)

ألقت رداءِ اللهو عن عاتقي

خمسٌ وخمسون مضتْ واثنتانْ

وبعد تركه الديارات واللهو والمجون بعد ندمه وتوبته، حنَّ لتلك الأمكنة، وشكا الدهر الذي جعله يتوب عن المجون فيها، فلولا خوفه من غدره ومن مصائبه لرجع لهذه الأمكنة التي كان يجد سروره وسعادته فيها، يقول:(٤٧)

مَنْ حَاكمٌ بينَ الزمانِ وبيني

ما زالَ حتى راضَني بالبِينِ

فأمَّا ورَبعيَّ اللذينِ تأبَّدا

لا عُجتُ بعدهما على ربعينِ

ما لي نأيتُ عن المَنِيَّ وكُنتُ لا
أَستطيعُ أَنأى عنه طُرفَةَ عينِ
يا ديرَ زكَّى كنتَ أحسنَ مألفٍ
مَنَّ الزَّمانُ به على إِلفينِ
وبنفسي المَرجُ الذي ابتسمتْ لنا
جَنباتُهُ عن عسجدٍ ولُجينِ

لو حُمِّلَ الثَّقلانِ ما حُمِّلتُ مِنْ
شَوقٍ لأَثقلَ حِملُهُ الثَّقلَينِ

تدل هذه المقطوعة التي يصف فيها شوقه وإدمانه اللهو في الديارات، وأصبح الانقطاع عنها عذابًا لا يُحْتَمَل، ومع ذلك يرى أنَّ هذا الزمان (الدهر)هو سبب بعده عن أماكن اللهو والسعادة؛ لأنه لم يعد عنه راضيًا كما كان وقت الشبابِ. لذا يصبر على بلوى الزمان؛ لأنَّه لا يملك خيارًا آخر أمام هذا الدهر، وبالرجوع إلى علم النفس نجد أنَّ الصنوبري يُنكر ما تهفو إليه نفسه ويتصف بالرد المُعاكس " وهو نوع من النزوع الرجعي إلى إظهار أنماط سلوك تكون على النقيض من دوافع ونزعات مكبوتة وغير مقبولة اجتماعيًا. ويتميَّز الرد المُعاكس بارتداد متعصب ومتطرف إلى أخلاق مقبولة اجتماعيًا وممدوحة تحل في حياة الفرد الظاهرة محل نزاعات نحو اللذة يُنكرها وينكرها مجتمعه"[٤٨]. فهو يتمنى أنْ يرجع للهو والمجون ولكن قلقه من غدر الدهر يحول دون ذلك، ولأنَّ المجون لا يقبله المجتمع ولا الدين فهو يُخفي ما يتمناه بقناع الزهد والتوبة، لتظهر حقيقة التوبة بأنها توبة أُجبر عليها، وقلقه من غدر الدهر وقرب الموت هو ما جعله يُصرّح بها ليرضى مُجتمعه منه مع أنَّها تُخالف هواه. يقول:[٤٩]

إذا نزلَ المكروه بي ثُمَّ لمْ أُعَنْ
على دفعِهِ عنّي بأَمرٍ مِنَ الأمْرِ

صَبرتُ على غيرِ اختيارٍ وإنَّهُ

لَيصْبِرُ مَنْ لا يستطيعُ سوى الصَّبرِ

ولعلمه بأنَّ غدر الدهر وانقلابه عليه مسألة وقت، فقد صرَّح بصبره لما سيحدث معه من مصائب ومعاناة مُستسلمًا في كبره للدهر وجنوده. ويحدِّث نفسه في مقطوعة أُخرى على الصبر على نوائب الدهر، يقول:(٥٠)

سَأُبْرِزُ وجْهَ صبري للَّيالي

وهلْ يتجنبُ الصبحُ البروزا

وظنَّ بأنَّ جنود الدهر من مرض وضعف وشيب هي كل المصائب التي سوف يظهر الدهر بها خيانته للشاعر، لأنَّه تاب وصبر على ما حلَّ به في الكبر، وأصبح منتظرًا الموت، مستعدًّا له، متأملًا بأن الله ﷻ قد قبل توبته. فالصنوبري هنا يتمنى لو لم ينقضِ الزمان ولم يصل لسن الشيخوخة الذي أجبره على التوبة والانقطاع عن المجون، وقلقه من غدر الدهر جعله مُستسلمًا صابرًا، فما عليه سوى أنْ يصبر حتى يقوم الدهر بإنهاء حياته، ولأنَّه عاش حياة سعيدة طيلة عمره لذا هو لا يحفل بالموت متى جاء إليه.

المبحث الثالث: أثر الدهر في الصنوبري:

من الأفكار التي تدور في عقول الناس في كل زمان ومكان بأنَّ حياة الإنسان ومعاناته مُرتبطة بقدر السعادة أو الشقاء التي عاشها والذنوب التي اقترفها، وفي الإسلام يكون الابتلاء بقدر الإيمان، فمن كان إيمانه قويًّا كان الابتلاء قويًّا ومن كان إيمانه ضعيفًا كان الابتلاء ضعيفًا. إنَّ علاقة الدهر بالشاعر علاقة قوية وهذه العلاقة يعرفها من عايشه، فقد حقق له الدهر السعادة والثراء والشهرة وصُحبة الأغنياء في شبابه، لذا عندما ينقلب عليه فإنَّه يُذيقه من المصائب والمعاناة والابتلاء ما يُساوي ما اقتنص في الشباب من ذنوب ليقتنص السعادة والسرور.

ظهر أثر الدهر في حياة الصنوبري من تعذيبه وإلحاق الأذى به في كبره من جوانب عدة:

أ-التشوق للأصدقاء والأحبَّة: فبعد أن كان الفراق بينه وبين من يحب وطال، شكا الصنوبري الدهر الذي يُفرِّق الأحبة ويُبعدهم، يقول:(٥١)

سَلْ نكبةَ الدَّهرِ متى تُقلِعُ
ودولةَ الوصلِ متى ترجعُ
يا أيُّها الدَّهرُ الخؤونُ الذي
من شأنِهِ تفريقُ ما نجمعُ
أسرِعْ إلى ما سرَّنا مرةً
كما إلى ما ساءنا تُسرِعُ
ماذا بنا تصنعُ يا دهرنا
أما ترى الشوقَ وما يَصنعُ

فقد أظهر الدهر الخيانة له، فهو يكتب عليه المعاناة من هجر ورحيل مَنْ يُحب من الأصدقاء والأحبَّة، فيرتحلون ولا يعودون، ويشتاق لهم ويشعر بمرارة العيش بغيابهم عنه، وهنا يستخدم الاستفهام المجازي بمخاطبة الدهر(ماذا بنا تصنعُ يا دهرنا؟) وهو دلالة على رفض ما يقوم به ذلك الدهر بحقه وتعذيبه بالشوق لمن يحب.

ب- رثاء الأصدقاء والممدوحين والشعراء والعلماء أو التعزية فيهم:

من معاناة الصنوبري التي لا تنقطع عنه عند كبره موت كل الأحبة والأصدقاء والممدوحين والشعراء الذين أحبَّهم ورافقوه طوال حياته، فحزن على فراقهم وعلم بأنَّ موتهم بالنسبة إليه نوع من مصائب الدهر التي لن تنقطع حتى مماته. وهذه من المواعظ التي اتعظَ بها في حياته، وقام برثاء كل من مات منهم بقلب يعتصره الألم والحزن. فقد رثى محمد بن الحسن المعوج الشاعر، فقال:(٥٢)

طَرْفُ من لاحظَ الزمانَ غضيضُ
كلَّ يومٍ له جناحٌ مَهيضُ
إنَّ من ضاجع الخطوبَ سَيُنْبي
جنْبَهُ مَضجعُ الخطوبِ القضيضُ
نُكَبُ المرءِ ما يزالُ يُناجيـ
ـهِ بِهِنَّ التصريحُ والتعريضُ

فهو "من أصدقائه الذين تأثَّر لغيابهم بسبب الموت"[٥٣]، ويُؤكد بأنَّ موت صديقه الشاعر من نكبات الدهر التي يُعذِّبه بها وما عليه إلاَّ الصبر عليها، "هو الدهر الذي لا يُخلِّي إنسانًا دون تنغيص وتنكيد"[٥٤]، "وتستمر معاناته، وتشتد عندما يصوِّر خسارة الأدب والشعر بموته"[٥٥]، ورثى أبا بكر الدقيشي عالم غريب اللغة، يقول:[٥٦]

أسهُمُ الدَّهرِ بينَ بَريٍ وطَيشِ
تتأتَّى الأغراضَ من غير طيشِ
كلُّ يومٍ خِلٌّ مُصابٌ بِخِلٍّ
أيُّ عيشٍ يصفو بذا أيُّ عيشِ
كانَ علمُ الغريبِ في الناسِ حيًّا
فأماتَ الغريبَ موتُ الدَّقيشي

ويؤكد في رثائه بأنَّ نكبة الدهر بموته نكبة مقصودة كالسهم الذي أصاب هدفه، وما عليه إلاَّ أنْ يصبر على ما يُلاقي من هذا الدهر (كلُّ يومٍ خِلٌّ مُصابٌ بِخِلٍّ، أيُّ عيشٍ يصفو بذا؟ أيُّ عيشٍ؟) فهو يستنكر موت الأحبة باستخدام الاستفهام المجازي الذي لا يطلب فيه إجابة، وإنَّما يرفض ما يفعله الدهر به من تنغيص لعيشه بموت أخلَّائه، وجعله وحيدًا دون أصدقاء. وقالَ معزيًا جعفر بن طاروف بأخيه:[٥٧]

الصبرُ من عُدَدِ الرزايا فاصبرْ

إنَّ المُطيلَ تَلهُّفًا كالمُقصِرِ
لن يَفْثَأَ الأيامَ عن فَتَكاتِها
جَزَعُ الجَزوعِ وعَبرَةُ المُستعبِرِ

هُنَّ الخُطوبُ كما علمتَ وكلُّنا
من كيدِهِنَّ بمسمعٍ وبمنظرِ
تمشي الضِّراءَ فما تهابُ أخا غنىً
فتحيدُ عنهُ ولا ترقُّ لمُقْترِ

ثُمّ بعد أن يدعو أخا الفقيد بالصَّبر مُعزِّيًا، وأنَّ الرزايا والأيام والخطوب وهي من مسميات الدهر تقوم بالغدر وتُلحق بالناس المصائب وما على صاحب المُصيبة سوى الصبر، فمن أراد الدهر أن تُصيبه مُصيبة فهو لا يخاف أحدًا ولا يُبالي بأحد، يقول:(٥٨)

مَنْ ذا بأنيابِ الرَّدى لمْ يُفترسْ
أمْ مَنْ بمخلبِ صَرْفِهِ لمْ يُعقَرِ
فالقَ الأمورَ بقلبٍ راضٍ مُذعنٍ
لمُدبِّرٍ للأمرِ غيرِ مُدبَّرِ
مِحَنُ الفتى يُخبرنَ عن فضل الفتى
كالنارِ مُخبرةٍ بفضلِ العنبرِ

فهو يؤكد بأنَّ حجم المُصيبة والابتلاء يأتي بقدر منزلة الإنسان وإيمانه، وكلَّما كان إيمانه قويًا تكون مُصيبته أكبر، مثل العنبر الذي على شكل البخور تنتشر رائحته إذا تعرَّض للنار، فكلَّما احترق أكثر انتشرت رائحته أكثر. ويقول معبرًا عن حزنه عندما زار قبر أبي إسحاق السلماني:(٥٩)

أعزِزْ عليَّ بأنْ أزورَكَ يا أخي
في منزلٍ ناءٍ عن الزُّوَّارِ

خلَّيتَ دوركَ واتِّساع فضائها
مُستبدلًا منها بأضيقِ دارِ

ومما يزيد في حزنه زيارة قبور أصدقائه في حياته، فيحزن لفقدهم، وها هو صديق من أصدقائه مات وذهب ليزورَ قبره وتذكر عندما كان يزوره في بيته الواسع فيعزُّ عليه زيارته في قبر ضيّق "فمرارة هذه الزيارة يُعاني منها وتشعره بالانفصال والعُزلة عن مجتمعه"(٦٠).

ج- **تغيُّر حاله:** بعد أنْ ترك اللهو والمنادمة وكبر في السن وأنفق ما معه من مال أصابه الدهر بمصيبة الفقر التي جعلته يخاف من التسول عند الكبر، وتمنى الموت قبل أنْ يسأل الناس، فكيف بشاعر مثله عاش حياته غنيًا مُترفًا يسأل الناس "ويرى الموت خيرًا من الفقر، وأنَّ القبرَ خير ساتر داعيًا الله ألاَّ يُريه بعدَ اليُسرِ عُسرًا"(٦١)، يقول:(٦٢)

ما أحسنَ الموت مع الفقرِ
ما ساتر أسترُ من قبرِ
أوليتني يُسرًا فلا تبْلني
يا ربِّ بعدَ اليُسرِ بالعُسرِ

واستمر الفقر يلازمه فقرر السفر لعله يحظى بممدوح في بلد ما فينال عطاياه، ولكن سوء حاله واضطراره للسفر جعل زوجته تُحاول أنْ تُثنيه عن الرحيل بدموعها، وهي لا تعلم بأنَّ قرار السفر من القرارات السيئة التي أُجبر عليها الشاعر، فيبرر ضرورة رحيله، بأنَّ الناس أصبحوا لِئامًا ممقوتين منذ توقف عن المجون معهم وتاب. فبكى مع بكاء زوجته لتغيُّر الناس معه. يقول:(٦٣)

تقول لي وكلانا عند فرقتنا
ضدَّانِ أدمعنا دُرٌّ وياقوتُ
أقِمْ بِأرضِكَ هذا العام، قلتُ لها

كيفَ المُقامُ وما في منزِلي قوتُ

ولا بِأرضِكِ حُرٌّ يُستجارُ بِهِ
إلاَّ لَئيمٌ ومذمومٌ وممقوتُ

لقد تغيَّرت حاله، فبعد أنْ تاب أصابه الفقر وتوقف عن مُلاقاة رفاقه والأغنياء، وفكَّرَ أنْ يطلب منهم لكنه تراجع عن ذلك، فقد خبر ما تبقَّى من أصدقائه بعد رحيل البعض وموت آخرين، ولم يبقَ من معارفهِ سوى اللئيم والمذموم والممقوت الذي لا خير فيه. ويمكن القول إن هذا يعكس نفسيته وانفعالاته، فهو مُصاب في وقت قوله لهذه المقطوعة بالإحباط الخارجي، وحدث هذا " نتيجة إعاقة كما هو الأمر في حال وجود حاجز، وقد يكون نتيجة عوز مثل عدم توافر وسيلة الشراء كما هو الأمر في حالة الفقر، وقد يكون نتيجة حرمان"[٦٤]. لقد ظهر بكاؤه ليدلَّ على إحباط ألمَّ به بعد أن أصابته فاقة الفقر، ولم يعد أحد يحتفي بشعره ومنزلته بعد أن تاب من المجون. فشكا سوء حاله وتغيُّر شعره بعد توبته، فلم يعد شعره يُحتفل به كالسابق، وحالته أصبحت بائسة لانقطاعه عن المنادمة والديارات وانقطاع عطايا الأغنياء. وعدَّ ذلك من مصائب الزمان وتغيره عليه، يقول:[٦٥]

رُبَ حالٍ كأنَّها مُذْهَبُ الديبا
جِ صارت من رقَّةٍ كاللاَّذِ
وزَمانٍ مِثلِ ابنةِ الكَرمِ حُسْنًا
عادَ عندَ العيونِ مثلَ الدَّاذي
أو ما من فسادِ رأي الليالي
أنَّ شعري هذا وحالي هذي

لقد تحوَّل كل شيء عنه، وعاش في ضيق بعد توبته، فالزمان ضده والأصدقاء يصدُّونه، والتزامه التوبة منعه من قول الشعر الماجن، فماذا يفعل سوى أنْ يصبر؟

د- رثاء أُمِّه وابنته ليلى:

عندما ماتت أُمُّ الصنوبري حزنَ عليها حزنًا شديدًا ورثاها شعرًا، "صوَّر فيه شعوره العميق بالحزن على فراقها، وصوَّر مرضها قبل موتها، وكيف كانت تَئِنُّ أنينًا متصلًا"(٦٦). وخاطب الدَّهر بأحد أسمائهِ وهو المنايا، وتساءل كيف تشفى من علتها التي ماتت بها، يقول:(٦٧)

يا للمنايا كيفَ أَنْجو بها

من كربِها وهي بِها مُحدِقهْ

مَنْ تتحامى أنْ ترى ظُلمةً

أسكَنْتُها في ظُلَمٍ مُطبِقَهْ

إنَّه يخاف عليها وقد أسكنها قبرًا في التراب، ليحميها من هذا الدهر الظالم الذي لا يترك أحدًا إلاَّ ويُصيبه بالمصائب والمِحن والبلايا. وموت الأُم لا شكَّ أنَّه من أعظم هذه البلايا التي قد يُصاب الإنسان بها.

ويرى الصنوبري في الصبر على المكاره دواء ناجعًا لمصائب الدهر، لأنَّه يعتقد بعدم وجود شيء ليدفع عنه خيانة الدهر عند الكبر، وعليه الاستسلام له؛ فالدهر ليس عدوًا سهلًا يستطيع الوقوف بوجهه، وهذا يُشابه ما كان يقوله الجاهليون، فرؤية الصنوبري توافق رؤيتهم بأنَّه لا يستطيع مع هذا الدهر إلاَّ الصبر على مصائبه، يقول:(٦٨)

إذا نزلَ المكروهُ بي ثُمَّ لمْ أُعَنْ

على دَفعِهِ عنّي بأمرٍ من الأمرِ

صبرتُ على غير اختيارٍ وإنَّه

ليصبرُ مَنْ لا يستطيعُ سوى الصَّبرِ

وبعد أنْ أقلع عن المجون وتاب واقتصرَت مصائب الدهر على جنوده من مرض وشيب وفقر. وزهدَ في حياته مُنتظرًا مجيء الموت، عسى الله يتوب عليه لقاء ما قام به من ذنوب في شبابه، فاجأه الدَّهر بمصيبة قلبت حياته رأسًا على عقب، وتذكَّر كل ما كان مُتناسيه من خيانته وغدره، فقد ماتت ابنته ليلى التي كان يُحبُّها حبًّا أكثر مما يحبه الشعراء العذريُّون لمحبوباتهم، فصعقه الحدث وجزع ولم يتصبَّر، مع أنَّه في كل تعزية أو رثاء كان يدعو إلى الصبر والاستسلام لغدر الدهر، لكنه مع مصيبته هذه لم يتصبَّر، " فجاء الرثاء يشفُّ عن نفسٍ حزينة مُلتاعة، ويصدق التعبير عنها"[٦٩]، يقول:[٧٠]

لقدْ غمزَ الدَّهرُ العَسُوفُ بِصَرْفِهِ
قناتي وصَرْفُ الدَّهرِ أَعنَفُ غامزِ
رماني بسهمِ الثُّكلِ رَمْيَ مُعاندٍ
فلمْ أحتجزْ لمَّا رماني بِحاجزِ
إذا الدَّهرُ للآمالِ أبرزَ كيدَهُ
فقل لبني الآمالِ هل من مُبارزِ
على بابِ قنسرين قبرُ عزيزةٍ
على أبويها من أعزِّ العزائزِ

وعندما وجد أهله ما حلَّ به من صدمة الفقد ولم يرعوِ وأصابه الجزع وعدم التَّصبُّر، دعوه إلى التوقف عن البكاء، "والصَّبر على هذه المصيبة مُتناسين حالهم الذي يُشبه حاله، لكنه كان يزجر من يدعوه إلى التّصبُّر، ويؤكد استحالة أنْ يصبر يومًا على فراقها، إذ لا نهوض بعد كبوته هذه، وستظلُّ ذكراها تقضُّ مضجعه وتؤلمه، وعوضًا عن أن يدعو لها بالرحمة، كان يدعو لنفسه بأنْ يرحمه الله مما يجد ويُكابد" [٧١]، يقول:[٧٢]

ويأمرني بالصَّبرِ أهلي وكلُّهم
عليكِ أخو قلبٍ عن الصَّبرِ عاجزِ

كأنَّ على أكبادِهِمْ وقلوبِهم

شفارَ القواري أو أشافي الخوارزِ

فكل العائلة تُعاني من هول المُصيبة وكأنَّ أكبادهم مُفتَّتة، وقلوبهم مغروس فيها حد رمح أو مخرز، ثُمَّ يتمنى لو أنه مات قبلها لكان نال السعادة وليس ما حدث له، فهذه الفاجعة لا يُمكنهم احتمالها، يقول:(٧٣)

مضيتِ بأثوابِ الصِّبا وتركتِني

تُهزْهِزُني للشَّيْبِ أيدي الهزاهزِ

وكانَ سُروري أنْ أكونَ مُقدَّمًا

وتبقَيْ إلى أنْ تُحسَبي في العجائزِ

كذا كانَ قِدحي فائزًا حينَ كنتِ لي

فأصبحَ قدحي خائبًا غيرَ فائزِ

لقد ذهبت من كانت سبب سعادته وتركته للمصائب تعصف به، وقد كانت قمة سعادته أنْ يموت هو، وليلى تحيا حتى تصبح عجوزًا، ولكن هذا الدهر لا خطة له ولا قانون يمشي بمقتضاه، وكان لزامًا عليه أن يُميت الكبير ويترك الصغير حتى يكبر، ولا تُلحق الموت بالصغار دون الكبار لتفتت أكباد الكبار على من يُحبون. ويرثي ابنته في قصيدة أُخرى، يقول:(٧٤)

دهرٌ يُساءُ به الفتى ويُغاظُ

لا الوعظُ يَردَعُهُ ولا الوعَّاظُ

ما زالَ يُلحقُني حَريقُ دُخانِهِ

فالآنَ عادَ عليَّ وهو شواظُ

لهفي لِضيعةِ مُهجةٍ لِيَ في الثَّرى

لم يحمني تضييعَها الحُفَّاظُ

فاضتْ لدنْ فاضت مدامعُ أهلها

حُزنًا فألاَّ حينَ فاضَتْ فاظُوا

فقد خانه الدهر وأغاظه بهذه المصيبة التي ألحقها به فقد جعلته مغتربًا، "ويصل اغتراب الصنوبري إلى أعلى درجة حينما يتحدث عن إساءة الدهر له في خطف ابنته ليلى منه؛ حيث لا ينفع الوعظ ولا الوعاظ" [٧٥]، " فقد عاد الدَّهر عليه بمصيبة من العيار الثقيل الذي ناء باحتمالها، وهو (شواظ) مُصوِّرًا مُصيبته الكُبرى بالنَّار المُحرِقة التي أحرقته واستنزفت صبره فلم يَعُدْ يُطيق التَّصبُّر" [٧٦]. والصنوبري يستخدم وسيلة دفاعية في علم النفس تُسمى الإضفاء أو الإسقاط: فيقوم " بإلقاء اللوم على الآخرين ... فقد يبلغ إلقاء اللوم على الآخرين درجة يصبح معها ملقيًا دائمًا اللوم على الحظ، أو الآخرين، أو القوى الخفيَّة، فيما يقع له أو عليه من سوء"[٧٧]. لقد ألقى اللوم على هذا الدهر الخائن، الذي غدر بالشاعر وأمات ابنته، فالدهر هو المُلام الأول على تلك المصيبة العظيمة على نفس الشاعر. ويختم قصيدته بالرفض لحكم الدهر، يقول:[٧٨]

لِمَ لَمْ أُقاسمكِ البقاءَ أو البِلى

بل ليسَ للمُعطى البقاءَ حفاظُ

فهو لِما يشعر به من عجز ومعاناة لعدم قدرته على شفاء غليله وقتل من قتل ابنته، يتمنى لو مات معها وشاركها الفناء أو بقيت حية معه يعيشان بأمن وسلام معًا. والتساؤل هنا من علامات الرفض للواقع، فهو يرفض ما حلَّ بابنته وحلَّ به ويستنكر ما حدث له بنبرة غضب وتأوه وحزن يظهر ذلك من اختيار حرف الظاء رويًّا وهو من الحروف المجهورة التي تعكس الغضب المسيطر على نفسية الشاعر." ويظل يصدر عن آهات وأنَّات باكية دامعة، يصوِّر حُزنه في معانٍ هائلة مُفجعة، فيبدع التصوير، ويهز الأعماق هزًّا، يُشرك القارئ محنته، يستشعر مُصيبته الفادحة، فيدمع لدمعه، وقد يبكي لبكائه" [٧٩]. وهنا يُحاول أنْ يُصبِّر نفسه على تغير حاله وما يُعانيه بعد موت ابنته،" ثُمّ يُجيب عن نفسه

بأنَّه غير قادر على تحمُّل مُصيبته والتَّصبُّر عليها، فكلُّ شيءٍ يصبرُ الإنسانُ عليه، إلاَّ أنْ يُفارق الخليل خليله، والجسم يُفارق بعضه..." [٨٠]، فقال[٨١]:

أرضَ حكمَ الزمانِ يا أحمدُ ارْضَهْ
إنْ تَذُقْ ضَيحَهُ فقد ذُقتَ مَحضَه
أيُّ خيرٍ وأيُّ شرٍّ تبيَّنـ
ـتَ لديه فما تبينتَ نَقضَهْ

وعندما قام الشاعر كشاجم بتعزية الصنوبري ومحاولة التخفيف عنه عندما وجده جزعًا وغير مُتصبِّر على فقدان ابنته ليلى، قال:[٨٢]

أتـأْسَى يـا أبـا بـكـرٍ
لمـوتِ الـحُـرَّةِ البِـكـرِ
وقـدْ زوَّجـتها قبـرًا
ومـا كـالـقـبـرِ مـن صُـهـرِ
وعَـزِّ النَّـفـسَ مِمَّا فَا
تَ بالـتَّسـلـيـمِ والـصَّبْـرِ

فأجابه الصنوبري بقصيدة فجائعية أسكتته، ليخبره بأنَّ ما يشعر به من غيظ لا يحتمل الصبر والسكوت، فالأولى أن يسكت هو؛ لأنَّه لا يشعر بما يشعر به من غضب وغيظ ورفض لما أحلَّ به، "ففقدان ابنته التي كانت تُؤنس وحشته، وعونه على كهولته، فاجعة كبرى له، ولكن القدر رمى سهمه النافذ الذي أصابَ قلبه، وحوَّله إلى وحدة وألم وحزن"[٨٣]، " فبلغَ أقصى درجات العجز"[٨٤]. يقول:[٨٥]

أقْصِرْ فما تملُكُ إقصاري
صَبَّرْتَ مَنْ ليسَ بِصَبَّارِ

ما لي عن الأوزارِ مندوحةٌ

إذْ كانتِ الأحزانُ أوزاري

لا درَّ درُّ العينِ إنْ سامحت

عيني بدمعٍ غيرِ مِدرارِ

وتعدُّ هذه القصيدة من أبرز قصائد التفجُّع " ونلحظ الحزن بادي العمق وظلال الأسى تخيِّم على نفس الشاعر"[٨٦]. وبدأ قصيدته بالإجابة على صديقه الذي حاول تصبيره لكنه " استخدم صيغة المبالغة مرتين: ففي المرة الأولى استخدم هذه الصيغة عندما تحدث عن مُحاولة صاحبه تصبيره، وهذا يعني أنَّ محاولة الصاحب لم تكن مُحاولة واحدة عابرة فحسب، بل هي مُحاولات مُتكررة مُتعاقبة ذات عمق وفعل شديدين. وفي المرة الأُخرى استخدمَ صيغة المبالغة عندما تحدث عن نفسه، ذاكرًا أنَّهُ (ليسَ بصبَّار). وهذا يشير إلى أنَّ الشاعر قد حاولَ الصبر مرات عدّة، وليست هذه المرة الأُولى التي يُحاول فيها أن يصبر. ولعله كان قد وُفِّقَ في بعض هذه المرات إلى أن يتحلَّى بالصبر فعلًا، ولعله لم يكن قد وُفِّقَ أصلًا لكن استخدامه صيغة المُبالغة يشي بنهاية الحدث، حدث الصراع النفسي لديه بعد فقده ابنته" [٨٧]. "ويختلف الأشخاص في موقفهم من الظرف الذي يواجههم بالإحباط لدى أول مُحاولة، فبعضهم يقف ويستسلم ويقبل بسهولة. وآخرون يستمرون في المحاولات أملًا في التغلب على الصعوبة، يُوجههم في ذلك دافع اشتدت قوته بتأثير فشل المحاولة الأولى. وغيرهم يتحوَّل عن الظرف إلى آخر، أو يتحايل عليه، أو يواجهه بالقوة... وهي شكل من أشكال التكيف" [٨٨]. يقول الصنوبري:[٨٩]

ألقتنيَ الأحداثُ من كيدِها

ما بين أنيابٍ وأظفارِ

وألبسَتْ جسمي ثيابَ الضَّنا

فالجسمُ من غيرِ الضَّنا عاري

أضَرَّ بي ثَكلُكِ ليلى وفي
إضرارهِ بي كُلُّ إضرارِ
يا يومَ ثُكلٍ لمْ أَذُقْ مثلَهُ
أَمَرَّ عيشي أَيَّ إمرارِ
أمَا على يومِكِ من ناصرٍ
أمْ غابَ عن يومكِ أنصاري

لقد استخدم اسم آخر للدهر وهو الأحداث، حيث كانت معاناته كيدا وغدرا من هذا الدهر وأحداثه ووضعته ما بين أنياب وأظفار هذا الوحش الذي قام بتعذيبه بمصيبة قتل ابنته، فألبسه لباس الفقد وأشعره بالعري بعد فقد من كانت كاللباس له ترعاه وتُحيطه بكل أنواع المودَّة وترحم كهولته، ثُمَّ يتحدث عن الضرر الذي لحقَ به جراء غدر الدهر به. " فقد كان فقده هذا مضرًا به، وهذا أمر مألوف ومتوقع. ولكن هذا الضرر لم يكن ضررًا عاديًا، بل كان يحوي في داخله " كل الإضرار"، واستعمل الشاعر أداة التعميم (كل) مع تنكير كلمة (إضرار)؛ ليفسح المجال أمام خيال القارئ ويتصور جميع ما يمكن أن يتصوُّره من أمثلة الإضرار وتجلياته" [٩٠].

وينتقل إلى اللحظة التي ماتت فيها ابنته " وينادي على اليوم الذي فقدها فيه. ولماذا يُناديه؟ لعله يُريد أنْ يستعطف، أنْ يسترحمه. وهو قد مضى ولم يعد موجودًا؟ هذا مغزى النداء هنا، فالشاعر إذن يطلب منه الرأفة بحاله والشفقة عليه. وهذا اليوم العصيب لم "يذق" الشاعر مثله. واللجوء إلى الذائقة هنا فيه إلماح ...، لأنَّ المُتذوِّق لا يطمح إلاَّ إلى ألذ المُذوقات طعمًا في العادة، لكنه لم يحصل في ذلك اليوم إلا على المرارة، وأية مرارة؟ إنَّها المرارة التي صبغت عيشته كلها"[٩١]. ويبحث الشاعر "عن الناصر، وبسؤاله بـِ (أما) يُشعر بأنَّه يحمل في داخله شعورًا بأنَّه لا بُدَّ أن يكون هذا الناصر موجودًا. ثُمَّ إنَّ تعبيره بـِ (ناصر) يشي بأنَّه يجد في داخله رغبة في التخلص من واقعه النفسي

المُتأزم، وإنَّما يطلب من ينصره في تحقيق هذه الرغبة، وإلاَّ فلا معنى للنصرة هنا إنْ لم تكن الرغبة، من أصلها، حاضرة لدى الشاعر"[٩٢]. ويصفُ معاناته بعد أنْ دفن ابنته، يقول:[٩٣]

ألنارُ من قلبيَ مخلوقةٌ

أم هو مخلوقٌ من النارِ؟

فحاله بعد موتها تغيَّر إلى الأسوأ، حيث أصبح قلبه مشتعلًا نارًا من الغضب والرفض لهذه المصيبة، ويتساءل مُستنكرًا هل قلبه مخلوق من النار، أو النار مخلوقة من قلبه، موحيًا بغضبه ورفضه. يقول:[٩٤]

وكنتُ القريرَ العينِ إذ كنتِ لي

تَحلو أحاديثي وأخْباري

وكانَ شِعري يُتَغَنَّى به

فاستُحْسِنَتْ للنوحِ أشْعاري

لقد تغير بموت ابنته كل شيء إلى النقيض وكل الذي يجلب له السرور وهي حيَّة أصبح يجلب الحزن والبؤس بعد موتها، وحتى شعره الذي كان لطائف يُغنيه الناس أصبح يُستخدم للنوح والبكاء لكثرة ما رثاها به. ولم يتوقف جزعه عند هذا الحد، بل إنَّه أشرك الطبيعة الحيَّة والصامتة في حزنه، يقول:[٩٥]

ألَا يا أيُّها القمريُّ كم ذا

تُغرِّدُ في الرواحِ وفي البُكورِ

أجدَّكَ تشتكي جَزَعًا وتبكي

لمفقودٍ كبيرٍ أو صغيرِ

فقعْ في بابِ قِنَّسرينَ فانظرْ

إلى جَزَعِ النِّساءِ على القبورِ

نساءٌ في حِدادٍ صائحاتٌ

كغربانٍ تَصايَحُ في الوُكورِ

إذ جعل طائر القمري معادلًا موضوعيًّا له، فهو يريد أنْ يتصبَّر على فراقها وعلى حكم الدهر عليه، فيرسل القمري إلى المقبرة حيث تنوح النساء على موتاهن فتخفف ما بهن من حرقة، ويرى موسى ربابعة " أنَّ شعور الشاعر بالحرمان والتوتر والفقد ينعكس ويتجلَّى في هذه الأشياء التي يُخاطبُها لتصبح رموزًا لانفعالات الشاعر ومواقفه ورؤيته، فجاءت لغته لغة متوترة ومتوهجة؛ لأنَّها لغة انفعاليَّة قادرة على حمل مشاعر الشاعر الذي يعيش في أزمة قادته إلى أنْ يُسقط ما في نفسه على الأشياء الطبيعية المُحيطة به"[٩٦]، بعد أنْ يُشخِّصها ويُخاطبها (ألا يا أيُّها القمريُّ ...)، (فقعْ في بابِ قِنَّسرينَ فانظرْ). "فاستخدام النداء لغير ما تعارف الناس عليه كسرٌ لنمط مألوف من التعبير، وتجاوز المألوف من الأمور التي تساعد الشاعر بإعطاء وظيفة جديدة لم تعهدها من قبل وتكشف عن غرضه وتضع المُتلقي أمام عالم جديد لم تعرفه اللغة"[٩٧]. فالصنوبري يسقط حزنه على الدنيا بما فيها من طيور، التي تشاركه أحزانه وأتراحه وآلامه "[٩٨]. " مُستشعرًا الحزن في صوت القمري وكأنَّه بكاء"[٩٩]، "وفي البيت الثالث يستخدم الشاعر فعل الأمر (قعْ) لتوجيه القمري إلى المكان الذي يجعله يتصبَّر على مُصيبته، فالشاعر يعكس أصداء أحاسيسه على القمري ليصف من خلاله مشاعره وآلامه هو، ويقوم بتوجيه القمري إلى المقبرة التي دفن فيها ابنته ليلى لينظر إلى النساء اللواتي ينحنَ جزعًا على موتاهن علَّ القمري يتصبَّر، ويتصبَّر أيضًا بتصبُّره الشاعر نفسه"[١٠٠]. فقد حاول التصبُّر فذهب إلى المقبرة لرؤية النائحات فيتصبَّر لكنه لم ينجح، وأيضًا قام بمحاولات كثيرة لكنه فشل في التَّصبُّر. ثُمَّ يختم قصيدته بقوله:[١٠١]

سأبكي، ما بكى القمريُّ، بنتي

ببحرٍ من دموعي بل بحورِ

ألستُ أحقَّ أنْ أبكي عليها

إذا بكتِ الطيورُ على الطيورِ

إنَّ جزع الشاعر وعدم تصبُّره مُتأتٍ من فلسفته الحياتية ورؤيته خيانة الدهر، فعلى قدر السعادة والسرور التي جناها في شبابه تكون بقدر خيانة الدهر عند الكبر وحجم مصائبه؛ ولأنَّ الصنوبري عاش حياة مجون ولهو وترف فترة طويلة من حياته قطف أثناءها جميع أنواع المُتع والملذات وذاق فيها كل سعادة وسرور، حتى وصل الخمسين وتاب وظنَّ أنَّ خيانة الدَّهر لا تعدو أنْ تكون فقط ما يُصيبه من أمراض وشيب وكهولة حتى يموت، وهذا ما كان يُصيب أصدقاءه الذين ماتوا بعد عمر طويل وهذا كان ظنُّه في البداية، ولكن بعد أنْ كشف الدَّهر له خيانته وأنَّه يخون الإنسان بقدر ما وجد من سعادة فيُذيقه ألمًا وحزنًا يساوي ذلك، وهذا ما حدث له، فلم يتصبَّر وجزع على موت ابنته فغضب ورفض كل مَنْ يدعوه للصبر والتوقف عن الجزع، يقول:(١٠٢)

يا يومَ ثُكلٍ لمْ أَذُقْ مثلَهُ

أَمَرَّ عيشي أَيَّ إمرارِ

فقد ذاق كل مرارة - بخيانة هذا الدهر له- لِتُنسيه كل سعادة قد ذاقها في شبابه، ويقول أيضًا:(١٠٣)

لقدْ غمزَ الدَّهرُ العَسُوفُ بِصَرْفِهِ

قناتي وصَرْفُ الدَّهرِ أَعنَفُ غامزِ

رماني بسهمِ الثُّكلِ رَمْيَ مُعاندٍ

فلمْ أحتجزْ لمَّا رماني بِحاجزِ

لقد أصاب الدهر الشاعر بشكل مقصود وخيانته كانت أعنف خيانة، مما يدلُّ على أنَّ العنف الذي وجهه للشاعر بموت ابنته جعله يتأكد بأنَّ الكثير من السعادة سيتبعها الكثير من الألم، فأصابه بسهم الثكل كنوع من تسوية الحساب معه. لذا فهو مُغتاظ وفي قلبه نار مُشتعلة، ولأجل ذلك تحوَّل الصبر عنده إلى جزع وعدم تصبُّر، لأنَّه لو كان يعلم ما سيحصل معه مع هذا الدَّهر لما عاش حياة اللهو والمجون ولعاش عيشة بسيطة تخلو من السعادة والمجون،

لكن هذا الدهر غدر به كنوع من العدالة، فقضى بأنْ يُعذِّبه ليجني الألم بمقدار ما ذاق من سعادة. " ولم يتمكن من التخلص من محنه وآلامه، لِإيمانه بأنَّه محكوم عليه بأنْ يبقى على ما هو عليه، دونما قدرة لديه على التبديل "[١٠٤]. وفي علم النفس فإن هذا التحول الذي حدث عند الصنوبري جراء لومه الدهر الخائن من جهة، و لومه نفسه أكثر وجزعه على موت ابنته التي كانت ترعاه في كبره ويُحبها كثيرًا وحزنه الشديد على فِراقها، يعدّ حالة من الاكتئاب الحاد الذي أصاب الشاعر" وفيه يكون الشعور بالحزن أكثر شدة وكذلك لوم الذات "[١٠٥].

الخاتمة: سعت الدراسة إلى إلقاء الضوء على تجربة الصنوبري الشعرية، من خلال تمثيل علاقته بالدهر، **وخلصت إلى النتائج الآتية:**

١. للصنوبري رؤية حول الدهر وقد استقى هذه الرؤية من ثقافته الشعرية حول الدهر منذ الجاهلية وحتى من شعراء عصره.

٢. تتمثل رؤية الصنوبري حول الدهر بأنَّه يُهادن الشعراء في مرحلة الشباب ويغدر بهم في الكبر ويُلحق بهم المصائب والبلايا، وقد كانت حياته مرتبطة برؤيته. فعاش حياة لهو ومجون حتى وصل الخمسين لعلمه بأنَّ هذا الدهر يُهادنه ولن يغدر به في مرحلة الشباب، وكان الهدف من مجونه الشهرة وكسب المال والعلاقات مع علية القوم وقد غنمها كلها، ثُمَّ شعر بقلق من غدر الدهر بعد ظهور علامات تحوُّله كالشيب والمرض والضعف فتاب مُكرهًا. وقال شعرًا في توبته يتشوَّق للمجون والديارات ولولا قلقه من الدهر لبقي يعيش حياة اللهو والخلاعة. ليبيّن لنا بأنَّ توبته كانت خوفًا وليس عن قناعة وصدق.

٣. لقد أثَّرت رؤية الدهر عند الصنوبري في حياته ومشاعره ونفسيته بدءًا بمجونه وعدم تفكره بأفعاله، وشعوره بالقلق عند كبر سنه، وتوبته التي

تُرضي المجتمع لكنها مصحوبة بالخوف والقلق من غدر الدهر ومصائبه. وبعد تغيُّر حاله، أصابه اكتئاب لفقره وأمراض الشيخوخة التي أصابته.

٤. وبعد توبته بدأ الدهر يكشف له عن وجهه البشع فأصابته الأمراض والأوجاع وأيضًا الفقر الذي صدمه لعدم وجود من يقدِّم له المُساعدة وقرَّر السفر، وهنا أصابه الإحباط الخارجي المُتمثِّل بالفقر و العلاقات الزائفة للبشر وما يُعانيه من حزن وخوف من هذا الدهر الذي يتربص به، فالخوف من الدهر وتوقع الموت جعله مُحبطًا مُستسلمًا لما قد يُصيبه به.

٥. العلاقة الجدلية بين الشاعر والدهر ظهرت لنا في شعر الصنوبري بعد أنْ ماتت ابنته المقربة والأثيرة (ليلى)، فأصابه الجزع؛ لأنَّ هذه المُصيبة لم يتوقع حدوثها، وكان يظن أنَّ ما سيحدث له لا يتعدى موته كما رأى ذلك عيانًا لأصدقائه والشعراء الذين شكوا خيانة الدهر لهم في الماضي والحاضر. وأصابه ما يُصيب الكثير من الناس في كل زمان ومكان من لوم وتفجُّع، وكان لومه لومين: إذْ لام الدهر على هذه المُصيبة أولًا، وبعد تفكير طويل أقنعَ نفسه بأنَّ هذا الدَّهر يُعاقب الإنسان ويغدره ويُذيقه من الحزن والعذاب بقدر ما ساعده بقطف السعادة والسرور، لذا لام نفسه على موت ابنته ثانيًا. وتمنى لو أنَّه لم يعش في شبابه ماجنًا لاهيًا لما ماتت ابنته، وأدَّى جزعه وحزنه ولوم الدهر ولوم نفسه لإصابته باكتئاب حاد بقي مصابًا به حتى مماته.

توصية:

أدعو الباحثين والدارسين إلى دراسة النوازع الرومانسية في شعر الصنوبري.

الهوامش:

١.الصنوبري، أحمد محمد بن الحسن الضبي، الديوان، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨، ص ٥-١٠

٢.ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبدالله الكبير وآخرين، دار المعارف –القاهرة، د.ط، مج١، ١٩٧٩، مادة (ذات) ١٠٥٠-١٠٥١.

٣.فال، جان، طريق الفيلسوف، ترجمة أحمد حمدي محمود، د.ط، مؤسسة سجل العرب – القاهرة، ١٩٨٦، ص١٢١

٤.هلال، محمد غنيمي، الموقف الأدبي، د.ط، دار العودة – بيروت، ١٩٧٧، ص١٩٩

٥.القعود، فاضل أحمد، جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي(دراسة نصيَّة) ، ط١، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢ ، ص٣١

٦.ابن منظور، لسان العرب، مادة (دهر)، ٩٨٧-٩٩٣

٧.الفيروز أبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي (ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، قدّم له أبو الوفا نصر الهوريني الشافعي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩، ص ٥٠٥

٨.الحوراني، الدهر في شعر ابن الرومي (رسالة دكتوراة)، جامعة اليرموك، ٢٠١٣، ص١٥

٩. شحادة، عبد العزيز محمد، الزمن في الشعر الجاهلي، د.ط، د. ن، إربد، ١٩٩٥، ص٤٤

١٠.النابغة الذبياني، الديوان، شرحه محمد الطاهر ابن عاشور، د.ط، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٦، ص٢٦

١١.الزوزني، أبو عبدالله الحسين بن أحمد، شرح المعلقات السبع، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨، ص٦٩

١٢.العشماوي، محمد زكي، موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، د.ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص١٩٤

١٣.الفيومي، محمد إبراهيم، في الفكر الديني الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٨٢، ص٢٧٢

١٤.النعيمي، أحمد إسماعيل، الأسطورة في الشعر العربي، ط١، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥، ص٢١٦

١٥.النعيمي، الأسطورة في الشعر العربي، ص٢١٧

١٦.النعيمي، الأسطورة في الشعر العربي، ص٢١٨

١٧.الحوراني، الدهر في شعر ابن الرومي، ص١٥

١٨.الشمري، ثائر سمير حسن ، التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري (دراسة نقدية)، ط١، دار الصفاء للنشر والتوزيع – عمان،٢٠١٢ ، ص٢٠٧

١٩. البحتري، الديوان، تحقيق وتعليق: حسن كامل الصيرفي، د.ط، مطابع دار المعارف بمصر، ج٤، د.ت، ص ٢٢٢٢

٢٠.ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، الديوان، تحقيق حسين نصار، مطبوعات مركز تحقيق التراث، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، مطبعة دار الكتب، ج٤، شارك في تحقيقه وفاء محمود الأعصر وأحمد حسين علي صالح ومنير محمد المدني، ٢٠٠٢، ص ١٥٠٦

٢١.القعود، فاضل أحمد ، جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي، ط١، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢، ص٣١

٢٢.جودة، أحمد علي، التجديد في شعر الصنوبري، د.ط، مؤسسة حمادة للنشر والتوزيع، إربد، ٢٠١٨، ص٢٢٨

٢٣.الصنوبري، الديوان ، ص٤٢٩
٢٤.جودة، التجديد في شعر الصنوبري، ص٢٢٩
٢٥.الصنوبري، الديوان، ص٤٠
٢٦.الصنوبري، الديوان، ص٧٩
٢٧.جودة، التجديد في شعر الصنوبري، ١٠٦
٢٨.الصنوبري، الديوان، ص٧٩
٢٩.الصنوبري، الديوان، ص٢٩٩
٣٠.الصنوبري، الديوان، ص٥٥
٣١.الصنوبري، الديوان، ص٣٦٣
٣٢.الصنوبري، الديوان، ص٢١٩
٣٣.الشمري، التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، ص١٤٢
٣٤. الزعبي، خالد أحمد، الاغتراب الذاتي في شعر الصنوبري، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مج٤٤، ع٤، ٢٠١٧ ، (ص.ص ١٥٧-١٧٠)، ص١٥٩
٣٥.الشمري، التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص١٤٣
٣٦.الحيدري، ضياء الدين، بعض ما لم ينشر من شعر الصنوبري ، المورد، وزارة الثقافة والاعلام، مج ٤، ع٤، ١٩٧٥، (ص.ص ٢٥٥-٢٦٨)، ص٢٦١
٣٧.الصنوبري، الديوان، ص١٤٣
٣٨.الصنوبري، الديوان، ص٣٨٨
٣٩.الصنوبري، الديوان، ص٤٤٤
٤٠.الرفاعي، نعيم، الصحة النفسيَّة (دراسة في سيكولوجية التكيف)، ط٧، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ١٩٨٧
، ص١٩٧
٤١.الصنوبري، الديوان، ص٢٢٣
٤٢.الصنوبري، الديوان، ص٣٣٢
٤٣.الصنوبري، الديوان، ص٣٣٢
٤٤.الزعبي، خالد أحمد، الاغتراب الذاتي في شعر الصنوبري، ص١٥٩
٤٥.التويجري، صالح عبدالله، الصنوبري شاعر الطبيعة في العصر العباسي، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، ط١، ١٩٨١، ص١٣٦
٤٦.الصنوبري، الديوان، ص٤٥٣
٤٧.الصنوبري، الديوان، ص٤٤٨-٤٤٩
٤٨. الرفاعي، الصحة النفسيَّة (دراسة في سيكولوجية التكيف)، ص١٦٤
٤٩.الصنوبري، الديوان، ص٨٥
٥٠.الصنوبري، الديوان، ص ١٢٤
٥١.الصنوبري، الديوان، ص٢٨٦

٥٢.الصنوبري، الديوان، ص٢٢٦ ، المعوَّج: محمد بن الحسن الرَّقِّي، وهو شاعر يُعرف بالمعوَّج، توفي عام ٣٠٧هـ، المصدر: الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ج٣، ص٦٠

٥٣.الزعبي، خالد أحمد، الاغتراب الذاتي في شعر الصنوبري، ص ١٦٦

٥٤.عطبة، عبد الرحمن، الصنوبري شاعر الطبيعة، د.ط، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١، ص١٧٨

٥٥.الزعبي، خالد أحمد، الاغتراب الذاتي في شعر الصنوبري، ص١٦٦

٥٦.الصنوبري، الديوان، ص١٨٩- ١٩٠، الدُّقيشي، في تحقيق ديوان الصنوبري لإحسان عباس بالدال وهو في المصادر التاريخية بالراء (الرُّقيشي). أبو بكر الرقيشي: هو عبدالله بن محمد أبو محمد الخطابي النحوي واللغوي والشاعر الأنطاكي، يغلب على شعره السخف والألفاظ الغريبة في القرن ٤هـ، المصدر: ابن عساكر، علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبدالله الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمي من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، د.ط، دراسة وتحقيق محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥، ج٣٢، ص٣٩٣.

٥٧.الصنوبري، الديوان، ص٩٩، جعفر بن طاروف: من أعيان مدينة حلب وأحد منادمين الصنوبري، في القرن ٤هـ، ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي٤، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠، ص٣٥٦

٥٨.الصنوبري، الديوان، ص٩٩

٥٩.الصنوبري، الديوان، ص٩٨ ، أبو إسحاق السلماني: هو إبراهيم بن أحمد الزاهد أبو إسحاق السلماني النيسابوري من أعيان مدينة حلب من شيوخ الحاكم النيسابوري في القرن ٤هـ، النيسابوري، للحاكم أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن النعيم الضبي الطهماني، تاريخ نيسابور، لخَّصه أحمد بن محمد بن الحسن بن أحمد المعروف بالخليفة النيسابوري، حققه بهمن كريمي، مكتبة ابن سينا، طهران، ١٣٣٩هـ، ص٨٢

٦٠.الزعبي، خالد أحمد، الاغتراب الذاتي في شعر الصنوبري، ص ١٦٦

٦١.أبو زيد، علي إبراهيم، فنيات التصوير في شعر الصنوبري، د.ط، دار المعارف، مصر، ٢٠٠٠، ص١٣٠

٦٢.الصنوبري، الديوان، ص٤٤

٦٣.الصنوبري، الديوان، ص٤٠٢

٦٤.الرفاعي، الصحة النفسيَّة (دراسة في سيكولوجية التكيف)، ص١٧٤

٦٥.الصنوبري، الديوان، ص٤٢٤، اللاذ: ثياب حرير تنسج بالصين. الداذي: نوع من الشراب كثيف الجرم أو هو نبت على شكل حب الشعير يوضع في الخمر فتعبق رائحته ويجود إسكاره.

٦٦.التويجري، الصنوبري شاعر الطبيعة في العصر العباسي، ص١٢٠

٦٧.الصنوبري، الديوان، ص٣٧٤

٦٨.الصنوبري، الديوان، ص٨٥

٦٩.عطبة، الصنوبري شاعر الطبيعة، ص١٩١

٧٠.الصنوبري، الديوان، ص١٢٩

٧١.جديتاوي، هيثم محمد قاسم ، نسقية رثاء البنات في شعر الصنوبري، مجلة سرديات، الجمعية المصرية للدراسات السردية، ع ٢٣، ٢٠١٧، (ص. ص٣٣٤ - ٣٠٩)، ص٣٢٩

٧٢.الصنوبري، الديوان، ص١٣٠، والقواري: جمع قارية وهو حد الرمح والسيف أو هو طائر مشؤوم عند العرب وهو الشقراق أو هو طير سود المنقار طوالها أضخم من الخُطَّاف. والأشافي: جمع إشفا وهو المخرز أو المثقب. والإشفى السراد الذي يخرز به.

٧٣.الصنوبري، الديوان، ص١٣٠

٧٤.الصنوبري، الديوان، ص٢٦٦

٧٥.الزعبي، خالد أحمد، الاغتراب الذاتي في شعر الصنوبري، ص ١٦٤

٧٦.جودة، أحمد علي، الإيقاع الداخلي بين الإيحاء والدلالة في شعر الصنوبري، إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تامنغست، الجزائر، مج١١، ع٢ ، ٢٠٢٢، (ص.ص ٦٥٣-٦٧٠)، ص٦٦٦

٧٧. الرفاعي، الصحة النفسيَّة (دراسة في سيكولوجية التكيف)، ص١٥٧-١٥٨

٧٨.الصنوبري، الديوان، ص٢٦٦

٧٩.أبو زيد، فنيات التصوير في شعر الصنوبري، ص١١٥

٨٠.جودة، التجديد في شعر الصنوبري، ص١١٢

٨١.الصنوبري، الديوان، ص٢٢٣

٨٢.كشاجم، محمود بن الحسين، الديوان، تقديم وشرح مجيد طراد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ص١٣٦

٨٣.الزعبي، خالد أحمد، الاغتراب الذاتي في شعر الصنوبري، ١٦٢

٨٤.يحيى، مخيمر صالح، رثاء الأبناء في الشعر العربي إلى نهاية القرن الخامس الهجري، د.ط، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٨٠، ص١١٣

٨٥.الصنوبري، الديوان، ص٩٣

٨٦.عبد الجبار، سعود محمود، الشعر في رحاب سيف الدولة، د.ط، وزارة الثقافة، الأردن، ٢٠١٦، ص٢٠٩

٨٧.اللوتي، إحسان، ليلى والأقدار(قراءة في قصيدة للصنوبري في رثاء ابنته)، مجلة اتِّحاد الجامعات العربية للآداب، مج١٥، ع١، ٢٠١٨،(ص.ص٢٥١-٢٧١)، ص ٢٥٥

٨٨.الرفاعي، الصحة النفسيَّة (دراسة في سيكولوجية التكيف)، ص١٧٥

٨٩.الصنوبري، الديوان، ص٩٣

٩٠.اللوتي، إحسان، ليلى والأقدار، ٢٥٥-٢٥٦

٩١.اللوتي، إحسان، ليلى والأقدار، ٢٥٦

٩٢.اللوتي، إحسان، ليلى والأقدار، ٢٦٤

٩٣.الصنوبري، الديوان، ص٩٤

٩٤.الصنوبري، الديوان، ص٩٤

٩٥.الصنوبري، الديوان، ص٩٧

٩٦.موسى ربابعة، جماليات الأُسلوب والتلقي(دراسة تطبيقية)، ط١، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع،إربد، ٢٠٠٠، ص٧٦

٩٧. ربابعة، جماليات الأُسلوب والتلقي، ص٦٧

٩٨.الزعبي، خالد أحمد، الاغتراب الذاتي في شعر الصنوبري، ص١٦٣

٩٩.يحيى، رثاء الأبناء في الشعر العربي إلى نهاية القرن الخامس الهجري، ص٢٧

١٠٠. جودة، الإيقاع الداخلي بين الإيحاء والدلالة في شعر الصنوبري، ص٦٦٤

١٠١.الزعبي، خالد أحمد، الاغتراب الذاتي في شعر الصنوبري، ص١٦٣
١٠٢.الصنوبري، الديوان، ص٧٧
١٠٣.الصنوبري، الديوان، ص١٢٩
١٠٤.اللوتي، ليلى والأقدار، ص٢٦٧-٢٦٨
١٠٥.الرفاعي، الصحة النفسيَّة (دراسة في سيكولوجية التكيف)، ص٢٦١

المصادر والمراجع:

- البحتري، الديوان ، تحقيق وتعليق: حسن كامل الصيرفي، د.ط، مطابع دار المعارف بمصر، د.ت
- التويجري، صالح عبدالله، الصنوبري شاعر الطبيعة في العصر العباسي، ط١، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، ١٩٨١
- جديتاوي، هيثم محمد قاسم ، نسقية رثاء البنات في شعر الصنوبري ، مجلة سرديات، الجمعية المصرية للدراسات السردية ، ع ٢٣ ، ٢٠١٧، ص. ص٣٠٩ - ٣٣٤
- جودة، أحمد علي،الإيقاع الداخلي بين الإيحاء والدلالة في شعر الصنوبري، إشكالات في اللغة والأدب، مج١١ ، ع٢ ، ٢٠٢٢، ص.ص ٦٥٣-٦٧٠
- جودة، أحمد علي، التجديد في شعر الصنوبري، ط١، مؤسسة حمادة للنشر والتوزيع، إربد، ٢٠١٨
- الحوراني، محمد، الدهر في شعر ابن الرومي (رسالة دكتوراة)، جامعة اليرموك، ٢٠١٣
- الحيدري، ضياء الدين، بعض ما لم ينشر من شعر الصنوبري ، المورد، وزارة الثقافة والإعلام، مج ٤، ع٤، ١٩٧٥، ص.ص ٢٥٥-٢٦٨
- ربابعة، موسى، جماليات الأُسلوب والتلقي(دراسة تطبيقية)، ط١، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع،إربد، ٢٠٠٠
- الرفاعي، نعيم، الصحة النفسيَّة (دراسة في سيكولوجية التكيف)، ط٧، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ١٩٨٧
- ابن الرومي، الديوان ، تحقيق حسين نصار، د.ط، مطبوعات مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، مطبعة دار الكتب، ٢٠٠٢
- الزعبي، خالد أحمد، الاغتراب الذاتي في شعر الصنوبري، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مج٤٤، ع٤، ٢٠١٧ ، ص.ص ١٥٧-١٧٠
- الزوزني، أبي عبدالله الحسين بن أحمد، شرح المعلقات السبع، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨
- أبو زيد، علي إبراهيم، فنيات التصوير في شعر الصنوبري، د.ط، دار المعارف، مصر، ٢٠٠٠
- شحادة، عبد العزيز محمد، الزمن في الشعر الجاهلي، د.ط، د. ن، إربد، ١٩٩٥
- الشمري ، ثائر سمير حسن ، التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري (دراسة نقدية)، ط١ ، دار الصفاء للنشر والتوزيع – عمان، ٢٠١٢
- الصنوبري، أحمد محمد بن الحسن الضبي، الديوان، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨
- عبد الجبار، سعود محمود، الشعر في رحاب سيف الدولة، د.ط، وزارة الثقافة، الأردن، ٢٠١٦

- العشماوي، محمد زكي، موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، د.ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١
- عطبة، عبد الرحمن، الصنوبري شاعر الطبيعة، د.ط، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١
- فال، جان، طريق الفيلسوف، ترجمة أحمد حمدي محمود، د.ط، مؤسسة سجل العرب – القاهرة، ١٩٨٦
- الفيروز أبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي، القاموس المحيط، قدّم له أبو الوفا نصر الهوريني الشافعي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩
- الفيومي، محمد إبراهيم، في الفكر الديني الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٨٢
- القعود، فاضل أحمد ، جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي، ط١، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢
- كشاجم، الديوان، تقديم وشرح مجيد طراد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧
- اللوتي، إحسان، ليلى والأقدار (قراءة في قصيدة للصنوبري في رثاء ابنته)، مجلة اتِّحاد الجامعات العربية للآداب، مج١٥، ع١، ٢٠١٨، ص.ص ٢٥١-٢٧١.
- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبدالله الكبير وآخرين، دار المعارف –القاهرة، د.ط ، ١٩٧٩
- منير، وليد، دور الآخر في الإبداع الجمالي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج١٠، ع(١،٢)، ١٩٩١، ص.ص١٠٤-١١٨
- النابغة الذبياني، الديوان، شرحه محمد الطاهر ابن عاشور، د.ط، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٦
- النعيمي، أحمد إسماعيل، الأسطورة في الشعر العربي، ط١، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥،
- هلال، محمد غنيمي ، الموقف الأدبي، د.ط، دار العودة – بيروت، ١٩٧٧
- يحيى، مخيمر صالح، رثاء الأبناء في الشعر العربي إلى نهاية القرن الخامس الهجري، د.ط، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٨٠